المستدرك على ديوان

محمّد بنِ حازمٍ الباهليّ

أ. شاكر العاشور

هو الشّاعرُ العبّاسيُّ محمّدُ بنُ حازمِ بنِ عمرو، الباهليُّ بالولاءِ، والمتوفّى سنةَ٢١٧ هـ أو٢١٨ هـ. انمازَ شِعرُهُ بالزُّهدِ والقَناعةِ وذَمِّ الحِرْصِ، إلى جانبِ إجادتِهِ في وصفِ الشَّيبِ ومديحِ الشَّباب.

قالَ عنهُ ابنُ المعتز:« هو أَجودُ الشُّعراءِ لفظاً، وأَلطفُهُمْ معنىً»[١]. وذكرَهُ المرْزُبانيُّ في مُعجمِهِ، فقالَ:« يقولُ المقطَّعاتِ، فيُحسِن»[٢]. وقالَ عنهُ الخطيبُ البغداديُّ:« كانَ حَسَنَ الشِّعرِ،مطبوعَ القول»[٣]. وقالَ ابنُ الجرّاح:« لهُ في الشَّيبِ أَشعارٌحِسان»[٤].

وعن ابنِ الأعرابيِّ قالَ[٥]:« أَحسنُ ما قالَ المحدَثونَ من شُعراءِ هذا الزَّمانِ في مديحِ الشَّبابِ وذَمِّ الشَّيب:

لاحينَ صَبْرٍ، فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ فَقْدُ الشَّبابِ بيومِ المرءِ مُتَّصِلُ[٦]»

---

(١) طبقات الشّعراء ٣٠٨ .

(٢) معجم الشُّعراء ٣٧١ .

(٣) تاريخ بغداد٢/٢٩٥ .

(٤) الورقة ١١٧ .

(٥) انظر: الأغاني١٤/٩٤ والورقة١١٨ وبكاء النّاس على الشَّباب١٠٢ .

(٦) البيت لمحمد بن حازم من قصيدةٍ في الأغاني١٤/٩٤-٩٥.

فعَقَّبَ على ذلك ابنُ الوَشّاءِ بقولِه:«وما أَساءَ ولاقَصَّرَ عن الأوّلِ حيثُ يقولُ في هذا المعنى:

أَبكي الشَّبابَ لنُدْمانٍ وغانيةٍ وللمغاني، وللأطلالِ، والكُثُبِ
وللصَّريخِ، وللآجامِ في غَلَسٍ وللقنا السُّمْرِ،والهِنْديّةِ القُضُبِ[٧]»

هذِهِ الآراءُ حبَّبتْ إليَّ أَنْ أُسْهِمَ في خدمةِ شِعرِ هذا الرَّجلِ؛ فتعقَّبتُ ما ذكَرَهُ ابنُ النَّديمِ[٨] من أَنَّ لمحَمَّدِ بنِ حازم ديواناً قوامُهُ سبعونَ ورقةً. فلمْ أَحظَ بوجودٍ لهُ في مكانٍ ما؛على الرُّغمِ من تساؤلاتي الكثيرة، وتنقيري في فهارس المخطوطاتِ المنشورةِ في العالم. فلم يعدْ أمامي غيرُ رحلةِ البحثِ عن المتناثرِ من شِعرِهِ في المظانِ، ولَمِّهِ من التَّشتّت. فلمّا اجتمعَ لديَّ مقدارٌ طيّبٌ منهُ، استخرتُ الباري– عزَّ وجلَّ– ونشرْتُهُ سنةَ١٩٧٧[٩].

وفي سنة١٩٨٢أَصدرَ الدكتور محمد خير البقاعيّ نشرتَهُ لديوان محمد بن حازم الباهلي عن دار قتيبة بدمشق، وأَعقبَ ذلكَ بمستدركٍ على عملِهِ، نشرَهُ في مجلة مجمع اللّغة العربيّة في الأردن[١٠].ثمَّ قامَ وليد السّراقبي بصنعِ مُستدركٍ سمّاهُ «ديوان الباهلي٠٠ تكملةُ التكملةِ وإصلاحُ الإصلاح»[١١]، استدركَ فيهِ بعضَ ما فاتني، وما فات الدكتور البقاعيّ.

(٧) البيتان لمحمد بن حازم في البصائر والذّخائر٤/١٠٨ .

(٨) الفهرست١٨٨ .

(٩) مجلة«المورد» التراثيّة العراقيّة– العدد الثاني– المجلّد السّادس١٩٧٧ .

(١٠) العدد الرّابع والثلاثون– السنة الثانية عشرة– كانون الثاني١٩٨٨ .

(١١) مجلة«عالَم الكتب» السّعوديّة– المجلد الخامس عشر– العدد الرّابع، تموز وآب١٩٩٤ .

وتتوالى الجهودُ في خدمة شِعرِ هذا الرَّجلِ؛ وتصدرُ في سنة٢٠٠٢ ، عن دار الجيل في بيروت نشرةٌ جديدة لديوان محمّد بن حازمٍ الباهليّ، بجمع وتحقيق الأستاذ مناور محمد الطّويل، وبإشراف الدكتور إميل يعقوب.وهي نشرةٌ لاريبَ في أَنَّها تفضلُ نشرتي ونشرة الدكتور البقاعيّ؛ ذلك أَنَّ الأستاذ مناور جَمَعَ شملَ المتناثرِ من شِعرِ الباهليِّ في نشرتي ونشرة الدكتور البقاعي، وفي المستدركين اللّذين صَنَعَهُما البقاعيُّ والسراقبي، وأضافَ إلى كلِّ ذلك ما وقفَ عليهِ من شعرٍ للباهليِّ لمْ يكن في النشرتين السّابقتينِ وفي المستدرَكين؛ فجاءَ عملُهُ أشملَ وأوفى، إلى جانبِ الدِّراسةِ الموعبةِ التي صَدَّرَ بها عملَهُ.

ولأَنَّ مُهمّةَ جمعِ الشِّعرِ لايُمكنها أَنْ تبلغَ المنشودَ،لِترامي أَطرافِ الخزانةِ العربيّةِ، فقد وقعتُ على أبياتٍ من شعرِ محمّدٍ بنِ حازمٍ الباهليِّ لمْ تحتجنْها دفّتا ديوانِهِ الشّامل، بتحقيق الأستاذ مناور، فرأيتُ أَنْ أُضيفَها إلى عملِهِ الجليل، على طريقِ اسْتكمالِ جمع شِعرِ هذا الشّاعر.

المُستدرَك

[١]

من الطويل:

١- إذا ماتَقَضّى الوُدُّ إلاّ تكاشُراً فهَجرٌ جميلٌ بالفَريقَينِ صالحُ
٢- تَلَوَّنْتَ أَخْلاقاً عَليَّ، كثيرةً ومازَجَ عَذْباً، من إخائِكَ، مالِحُ
٣- فلي عَنْكَ مُسْتَغنىً، وفي الأَرْضِ مَذْهَبٌ فَسيحٌ، ورِزْقُ اللّهِ غادٍ ورائِحُ
٤- عليكَ سَلامٌ لاتواصُلَ بَعدَهُ فلا القَلْبُ مَحْزونٌ ولا الدَّمْعُ سافِحُ
٥- لتعلَمَ أَنّي حينَ رُمْتَ قَطيعَتي وسامحْتَ في الهِجرانِ، أَنّي مُسامِحُ

٦- على أَنّني لاقاتِلٌ بعداوةٍ عليكَ،ولاصَبٌّ إلى السِّلْمِ جانِحُ
٧- نَعانيَ ناعٍ يومَ يَطْمَعُ صاحبٌ يرى البِشْرَ في وَجْهي لهُ، وهو كالِحُ

التَّخريج: الأُنس والعُرس١٦٦ ، وفيه البيتُ الأوّل١٦٠ .

[٢]

من الوافر:

١- صَديقي لاغَنِيتَ غِنىً يَصُدُّ ولاأُعْدِمْتَ إعْداماً يَجُدُّ
٢- ولكنْ بينَ ذاكَ، وبينَ هذا مَعاشٌ لايَفوتُكَ فيهِ كَدُّ
٣- حَذارِ تَفَرُّقٍ بَعْدَ ائْتِلافٍ فإنَّ المالَ لِلآمالِ ضِدُّ
٤- هُما ابنا عِلَّةٍ في كلِّ حالٍ فما بين الغِنى والْفَقْرِ وُدُّ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس١٤٦ .

[٣]

من الطويل:

١- لَعَمْري لَئِنْ غالَتْكَ عِنْدي غوائلٌ وَأَبْحَرَ عَذْبٌ مِنْكَ ماعَزَّني وِرْدُ
٢- وَما أَنا والرَّنْقُ الأُجاجُ أُسيغُهُ وَعِنْديَ عِدٌّ من زُلالٍ لَهُ بَرْدُ
٣- وَمازالتِ الأَيّامُ تَسْعى بصاحِبٍ إلى صاحبٍ، والدَّهْرُ ليسَ لهُ عَهْدُ
٤- أَقَرُّ لِعيْنِي من إخاءِ تكاشُرٍ إذا ماانقضى الوُدُّ القَطيعةُ والبُعْدُ
٥- وَلي من صَديقٍ بالأَذى مُتَسَرِّعٍ إليَّ، وممّنْ لا يوافقُني بدُّ

التَّخريج: الأَبيات عدا [٤] في الأُنس والعُرس١٦٤ ، وفيه البيتان [٤-٥]

. ١٦٠

[٤]

من الطويل:

١- وَلِي صاحِبٌ أُصفيهِ وُدّي،وإنَّهُ لَيُنْصِفُني ،في وُدِّهِ، ويَزيدُ

٢- أَمِنْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بيني وَبينَهُ إذا دَبَّ، بينَ الصّاحِبَيْنِ،حَسودُ

التَّخريج: الأُنسُ والعرس٧٤ .

[٥]

من الكامل:

١- ياخاضِبَ الشَّيْبِ الذي في كُلِّ ثالثةٍ يَعودُ

٢- إنَّ النُّصولَ إذا بَدا فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَديدُ

٣- وَلَهُ بَديهةُ رَوْعَةٍ مَكْروهُها،أَبَداً،عَتيدُ

٤- فَدَعِ المشيبَ كَما أَرا.. دَ،فَلَنْ يَعودَ كَما تُريدُ[١٢]

التَّخريج : تلقيحُ العُقول (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٧).

[٦]

من الكامل:

١- قَدْ ذُقْتَني فَوَجَدْتَني مُرّا وَبَلَوْتَني فَوَجَدْتَني حُرّا

٢- سَهْلَ الخَلائِقِ، ذا مُحافَظَةٍ آبى الصَّغارَ، وأَمْنَعُ القَسْرا

(١٢) تُنسبُ الأبيات لمحمود الورّاق في ديوانِهِ ٦٠ .

٣- وَإذا أَرادَ هَضيمَتي رَجُلٌ أَبْليتُ،دونَ تَهَضُّمي،عُذْرا
٤- وَإذا تَجَبَّرَ صاحِبٌ وَزَها يوماً عَليَّ، أَعَرتُهُ كِبْرا
٥- وَإذا اسْتَكانَ لِذي الغِنى ضَرِعٌ يرجو جداهُ،رَمَقْتُهُ شَزْرا
٦- وَإذا تَضَيَّفَني الزَّمانُ بصرْفِهِ وكَبا عَلَيَّ قَرَيْتُهُ صَبْرا
٧- وَإذا نَبا بيَ مَنْزِلٌ وَجَفا عنّي،تَرَكْتُ عراصَهُ قَفْرا
٨- إنَّ القَناعةَ، ماعَلِمْتَ،غِنىً والحِرْصَ يُورثُ أَهلَهُ فَقْرا

التَّخريج: الدُّرّ الفريد٢/٣٣٩ ، وفيهِ الأوّل فقط٤/٣٠٣ [١٣].

[٧]

من الطويل:

١- وإنَّ التَّواني زَوَّجَ العَجْزَ بِنْتَهُ وَساقَ إليها، حينَ زَوَّجَها، مَهْرا
٢- فِراشاً وَطِيّاً، ثُمَّ قالَ لَها:اتكي فَقَصْراكُما لابُدَّ أَنْ تَلِدا فَقْرا[١٤]

التَّخريج: المناقبُ والمثالب٢٩٥ .

[٨]

(١٣) واضحٌ أَنَّ الأستاذ مناور لم يُحسن الإفادة من مصادره؛ إذْ أَثبت البيت الأول فقط من هذه القطعة في الديوان عن مخطوطة الدُّرّ الفريد٤/٣٠٣، ولم يلتفتْ إلى أَنَّ صاحب الدّرّ الفريد أَثبتَ القطعةَ بأبياتِها الثَّمانية في الصّفحة٣٣٩ من الجزء الثّاني.

(١٤) يُنسب البيتان لأَبي المعافي في عيون الأخبار١/٢٤٤ وديوان المعاني٢/١٩١ ومحاضرات الأدباء٢/١٦٢(ابن المعافى) ، ولهلال بن العلاء الرَّقّي في المستطرف٢/٣١٧ .

من السّريع:

١- في غَيْرِ سِتْرِ اللّهِ مَنْ سارا لاقَرَّبَ اللّهُ بِهِ الدّارا
٢- لَوْ سَخِطَ اللّهُ على نارِهِ لَعَذَّبَ اللّهُ بِهِ النّارا

التَّخريج: ذَمُّ الثُّقَلاء (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٧).

[٩]

من الطويل:

١- يَرى الحُرُّ أَحْوالاً فَلا يَسْتَطيعُها وَفي صَدْرِهِ نَفْسٌ أَجَلُّ من الدَّهْرِ
٢- فَلا الدَّهْرُ يُرْضيهِ بِبَسْطَةِ كَفِّهِ وَلا هُوَ يَرْضى بالقَليلِ من الوَفْرِ
٣- إِذا نالَ من دُنْياهُ حَظّاً نالَهُ فَعُسْرٌ إِلى يُسْرٍ، ويُسْرٌ إِلى عُسْرِ
٤- وَبينَهُما وَعْدٌ وَجُودٌ وَنائِلٌ وَبَذْلٌ يُؤَدِّيهِ إِلى الحَمْدِ والشُّكْرِ
٥- فَأَيّامُهُ تَمْضي بأَيّامِ غَيرِهِ وَبينَهُما حُسْنُ الأَحاديثِ وَالذِّكْرِ

التَّخريج: المناقبُ والمثالب٣٢٦ .

[١٠]

من الطويل:

١- وَكُنْتَ أَخي أَيّامَ عُودُكَ يابِسٌ فَلَمّا اكْتَسى،وَاخْضَرَّ صِرْتَ مَعَ اليُسْرِ
٢- وَما قُلْتُ حتّى لَمْ أَجِدْ مُتَلَوَّماً عَليكَ، وَحتّى لَمْ أَجِدْ مَوْضِعَ العُذْرِ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس١٤٥ .

[١١]

من المنسرح:

١ – لازلتَ في غُرْبَةٍ وَفي سَفَرٍ حتّى تَحُطَّ الرِّحالَ في سَقَرِ

٢– فَبِئْسَ ضَيْفُ الكريمِ مُغْتَرِباً وَبِئْسَ جارُ الأَقوامِ في الحَضَرِ

التَّخريج: ذَمُّ الثُّقَلاء (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٧).

[١٢]

من الطويل:

١– وَمازالتِ الأَيّامُ تَسْتَدْرِجُ الفتى وَتُمْلي لَهُ من حيثُ يَدْري،ولا يَدري

التَّخريج: محاضرات الأُدباء٤/٦٢ .

[١٣]

من الوافر:

١– رَخيصٌ:«كَيفَ أَنتَ» إذا التَقينا وَغالٍ عِنْدَهُمْ صِلَةُ الصَّديقِ

٢– فَإِنْ يَكُنِ الرَّخيصُ تُريدُ مِنْهُمْ فَقِفْ لَهُمُ على ظَهْرِ الطَّريقِ

٣– تَجِدْ مِنْهُمْ مُسالَمَةً وَبِرّاً وَتَسْليماً يَزيدُ على الحُقوقِ

التَّخريج: تلقيحُ العُقول (عن كتاب أوهام المحقّقين٦٨).

[١٤]

من الكامل:

١– لاتَقْبَلَنَّ نَميمَةً بُلِّغْتَها إِنَّ النَّميمَةَ سُمُّها مَسْلولُ

٢– وَأَخو النَّميمَةِ للمُروءةِ قاطِعٌ وَأَخو النَّميمَةِ للبِلاءِ رَسولُ

التَّخريج: المناقبُ والمثالب٤١٠ .

[١٥]

من الطويل:

١- رُجوعُ الفتى بالحَقِّ أَحْسَنُ بالفتى وَأَوْلى بِهِ من أَنْ يَلِجَّ بباطِلِ
٢- وَأَحْرِ بِمِثْلي أَنْ يُراجِعَ رُشْدَهُ بِتَرْكِ لِجاجٍ، أَوْ مُماراة جاهلِ
٣- أَقِلْني،فَقَدْ أَصْبَحْتُ رَهْناً لِزَلَّةٍ وَكَمْ زَلَّةٍ لاتُسْتَقالُ لِعاقِلِ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس٣١٩ .

وإنَّني حينَ أُقدِّمُ إضافتي هذِهِ ،فلستُ أَدَّعي أَنَّني استوفيتُ في هذا المستدركِ كلَّ مافاتَ الأستاذ مناور من شِعرِ لمحمّدِ بنِ حازمٍ الباهليِّ؛ ذلكَ أَنَّ هذا الرَّجُلَ غزيرُ الشِّعرِ، وأَنَّ شِعرَهُ مبثوثٌ في الكثير من المظانِ التي لم تصل إلينا، أَو التي لم نستطع الوقوفَ عليها، وندعو اللّهَ- جَلَّتْ قُدْرتُهُ- أَنْ يوفِّقَ الأستاذ مناور، أَو غيرَهُ من الغيارى إلى الوقوف على مايَسدُّ البُثوقَ، ويَرتقُ الفُتوقَ. واللّهُ الموفِّق.

المصـادر

- **الأَغاني** (دارالكتب).
- **الأُنسُ والعُرس**- لأبي منصور الآبي- تح: الدكتورة أيفلين فريد يارد- دار النَّمير للطّباعة- دمشق١٩٩٩ .
- **أَوهامُ المُحَقّقين**-الدكتور محمد حسين الأَعرجي- منشورات دار المدى- دمشق٢٠٠٤ .

- **بكاءُ النّاسِ على الشَّباب**- لابنِ الجوزي- تح: هلال ناجي- (مجلّة المورد)- العدد الثالث-المجلّد الثاني(ص٩١-١٠٤)١٩٧٣ .
- **تاريخ بغداد**- للخطيب البغدادي- القاهرة١٩٣١ .
- **الدُّرُّ الفريد وبيت القصيد**- لابن آيدمر- مخطوطٌ نَشَرَهُ بالتَّصوير فؤاد سزكين- فرانكفورت- ألمانيا الإتّحاديّة١٩٨٨-١٩٨٩ .
- **ديوان محمود الورّاق**- جمعهُ وحقَّقَهُ: عدنان محمد راغب العُبيدي- بغداد١٩٦٩ .
- **طبقات الشُّعراء**- لابنِ المعتز- تح: عبد السَّتّار أَحمد فرّاج- دار المعارف بمصر١٩٦٨ – ط٢ .
- **الفهرست**- لابن النَّديم- تح: رضا تجدد- طهران١٩٧١ .
- **محاضرات الأُدباء**- للرّاغب الأَصفهاني- تح:د.رياض عبد الحميد مراد- دار صادر- بيروت- ط١-٢٠٠٤ .
- **المُستطرف**-للأبشيهي- تح: إبراهيم صالح- دار صادر- بيروت١٩٩٩ .
- **معجم الشُّعراء**- للمرزباني- تح: عبد السّتار أَحمد فرّاج- دار إحياء الكتب العربيّة- القاهرة١٩٦٠ .
- **(كتاب) المناقب والمثالب**- لأَبي الوَفاء ريحان بن عبد الواحد الخوارزميّ- عُني بتحقيقِهِ: إبراهيم صالح- دار البشائر بدمشق- ط١-١٩٩٩.
- **الورقة**- لابن الجرّاح- تح: عبد الوهّاب عزّام وعبد السَّتار أَحمد فرّاج- دار المعارف بمصر- ط٢(د.ت).